Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9) Issue (5) 31May (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

بعض قضايا نكبات المكتبات الإسلامية

أ.م هدى نعمه حمد / أ.د. مؤيد حميدي جاسم
جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات/ جامعة تكريت/ كلية الآداب
Huda. N. hamad prof.Dr. Moayyed H. Jassim
h_hamad@tu.edu.iq
Mmud_58@yahoo.com

المستخلص :

عرض البحث لبعض قضايا تعرض المكتبات الإسلامية من نكبات بأنواعها المختلفة ابتداء من إتلاف الأشخاص لمكتباتهم، أو تسلط أرباب السلطة عليهم أو غير ذلك وصولا إلى قضايا التزوير والانتحال ،وتناول قضية تأثير تلك النكبات على حركة الكتب وانتقالها إلى دول وشعوب أخرى ونتيجة الانتقال الفكري التي كانت سببا في نهضة اوروبا وغيرها مع ذكر أمثلة ونماذج عن كل ذلك . **الكلمات المفتاحية : تاريخ المكتبات ، نكبات المكتبات**

Abstract:

The research presented some issues related to the disasters that befell Islamic libraries. the impact of these calamities on the movement of books and their transmission to other countries and peoples, and the resulting intellectual exchange that contributed to the Renaissance in Europe and elsewhere, citing examples and models Keywords: History of libraries , library disasters

المقدمة :

لا يخفى على أحد أن نكبات المكتبات تحدث من حين لآخر لسبب معلوم أو مجهول ، طبيعي أو بشري ، وليس من حل سوى العناية والرعاية والتأمين على المكتبات بشكل عام ، وهناك نكبات غير مباشرة تمس المكتبات في قلبها وجوهرها وهي التعرض للعلماء والمؤلفين أصحاب الفكر المدون والمحفوظ في هذه المكتبات ، فتخسر المكتبة أو تتأثر بذلك ، وليس ذلك فقط بل أن النكبات في التاريخ الإسلامي ابتدأت في مسألة لا تتعلق بطريقة الحفظ ومكانه وانما تتعلق بالأشخاص أنفسهم أصحاب تلك الكتب والمؤلفات، وهنا ما نحاول الكشف عنه في هذا البحث .

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في السؤالين الآتيين: ماهي أنواع النكبات التي تعرضت لها المكتبات الإسلامية الرئيسية والفرعية ؟وماهي هو تأثير هذه النكبات على حركة الكتب وتأثيرها ؟

ويهدف البحث إلى :

الكشف عن أنواع النكبات وجوانب تتعلق بكيفيتها .

أثر نكبات المكتبات الإسلامية على حركة الفكر والكتب عربيا وعالميا .

المبحث الأول / التخلص من الكتب

أولا : تعرض الكتب للإتلاف والتخلص منها برغبة أصحابها:

تنوعت طرق إتلاف الكتب والتخلص منها بناء على قرار من أصحابها، وتنوعت أسباب ذلك أيضا ، فكثير من العلماء الأوائل وخاصة علماء العصر الأموي الذين عاشوا قريبين من عصر الصحابة والتابعين؛ كانوا أكثر من أتلفوا مؤلفاتهم التي كتبوها، وفيما يبدو أن أقوى أسباب ذلك؛ كان الرغبة في الزهد والتنسك ومخافة أن يتحملوا مسؤولية رأي أو فتوى دونوها ولم يكونوا موفقين في تدوينها، وهذا الإحساس انتاب كثيرا من

العلماء؛ خاصة الفقهاء فكانوا يتعمدون التخلص من مؤلفاتهم حرصا على سلامة موقفهم أو مخافة فتنة بعدهم يكونون هم سببها ، وبعضهم أتلفها ندما وتوبة من نية غير سليمة مصرحين بذلك، وأول من قام بإتلاف كتبه في الإسلام[١] هو (عروة بن الزبير رضي الله عنهما) ومثله فعل أبو عمرو الكوفي، وكان قد أسلم زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك فقد اقتدى عدد من العلماء بعملهم، وهذا ما فعله بعض علماء العصر الأموي مثل سفيان الثوري ندما على ما كتبه ، أما في العصر العباسي فقد ظهرت أسباب أخرى للإتلاف، فأبو حيان التوحيدي أتلف كتبه لأنها لم تنقذه من الفقر والعوز ولم يقدر إبداعه أحد كما كان يتمنى .وطالت محنة الإتلاف أيضا الشعراء ، كما فعل الشاعر أبو الحسين عاصم العاصمي عندما غسل ديوان شعره في آخر عمره .

ولتحديد نهايات الكتب نستطيع أن نتصورها كالآتي:

النوع الأول : النهاية المحمودة مثل وقف الكتب للتخلص منها بحفظها؛ في وضعها بالمكتبات العامة وغيرها لتحقيق فائدة عامة منها، وهناك مئات الأمثلة على وقف الكتب من أشخاص في حياتهم وأحيانا بعد مماتهم ، نذكر منهم على سبيل المثال [٢]:

١-يحيى بن جزلة البغدادي ت ٤٧٣هـ أوقف كتبه قبل مماته على جامع أبي حنيفة النعمان

٢-أبو عبد الله الحميدي ت ٤٨٨هـ أوقف كتبه على طلبة العلم .

٣-أبو المعالي الرشيدي توفي أوائل القرن السادس الهجري، أوقف كتبه على الجامع المنيعي في نيسابور.

٤-أبو العز الجيلي ت ٥٢٩هـ أوقف كتبه قبل وفاته على طلبة العلم في جامع المنصور ببغداد.

٥-أبو محمد المقري ت ٥٤١هـ أوقف كتبه على طلبة العلم.

٦-أبو الفضل بن ناصر ت٥٥٠هـ وقف كتبه قبل وفاته .

٧-أبو محمد بن الخشاب ت٥٦٧هـ أوقف كتبه على أهل العلم

٨-رشيد الدين الوطواط ت ٥٧٣هـ أوقف خزانة كتبه على المدرسة المستنصرية ومكتبات أخرى في بغداد .

٩- الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي الدمشقي ت ٦٤٣هـ ، وقف كتبه وأجزاءه، وفيها من وقف الموفق والبهاء عبد الرحمن والحافظ عبد الغني وابن الحاجب، وابن سلام، وابن هائل ،والشيخ علي الموصلي، وقد نهبت في نكبة الصالحية نوبة غازان، وراح منها شيء كثير[٣].وكانت وفاة الشيخ الضياء سنة ثلاث وأربعين وستمائة، رحمه الله تعالى.[٤]

النوع الثاني : الإتلاف وهي النهاية المذمومة وقام بها كثير من المؤلفين من علماء وفقهاء وشعراء وغيرهم ، ونذكر منهم على سبيل المثال :

١-داود بن نصير الطائي الفقيه ت ١٦٣هـ ، دفن كتبه بعد أنْ ترك طلب العلم في الفقه وتفرغ للعبادة [٥].

٢-بشر بن منصور ، أبو محمد الأزدي السليمي الزاهد ت ١٨٠هـ[٦] أوصى ابن أخيه بغسل كتبه ودفنها بعد موته تنسكا .

٣-بشر بن الحارث الحافي العالم الزاهد ت٢٢٧ ، دفن كتبه ورعا، ومخافة الحساب بسببها[٧]

٤-أحمد بن أبي الحواري ت٢٤٦هـ واسمه (ميمون أبو الحسن) في القرن الثالث الهجري أغرق كتبه في البحر بعد أنْ اشتغل بالعلم ثلاثين سنة وألّف كتبا عديدة[٨].

٥-أبو سليمان الداراني جمعها في تنور وأحرقها .

٦-أبو حيان التوحيدي بعد ٤٠٠هـ : وقد أخذ يشرح سبب حرقه لكتبه اقتداء بمن سلف ، ويعددهم في نص طويل لكلامه الذي أورده ياقوت الحموي[٩]

٧-وفي الأندلس قام أمير مالقة القاضي أبو الحكم بن حسون المعافري ت٥٤٧هـ بحرق مكتبته بعد أن حوصر بقصره بسبب ثورة الرعية ، ومن شدة قهره على نفسه وبناته أضرم النار في كتبه ومتاعه وشرب سما فمات [١٠].

وأمثالهم الحسن بن رودبار من أهل الحديث في الكوفة، وسلّم بن ميمون الخوّاص من العبّاد بالرملة ، وضيغم بن مالك وكنيته أبو بكر ، وعطاء بن مسلم الخفاف ، وعلي بن مسهر ، ومحمد بن العلاء ، ويوسف بن أسباط الشيباني ممن دفنوا كتبهم . وممن احرقوا كتبهم محمد بن عمر بن محمد الجعابي البغدادي قاضي الموصل، وأبو عمروا بن العلاء القارئ اللغوي وقد مر ذكره [١١].على أنَ هذه أمثلة من أشخاص كثر قاموا بإتلاف الكتب عنوة وبقصد ، والأسباب على اختلافها فإنها أثرت بشكل أو بآخر على الموروث من النتاج الفكر العلمي والإنساني الإسلامي ، وربما لم يظهر ذلك التأثير إلّا فيما بعد حين فقد كثير من تراث الأمة بتقادم الزمن أو بنكبات سببها الإنسان.وفي كثير من المدن والديار الإسلامية حصلت اعتداءات على المؤلفات والمخطوطات كما ذكرنا في المشرق كما في المغرب ، وأول الأمر كان بسبب ديني ووازع من التنسك والبراءة للذمة ، ثم

تغير الأمر فدخلت السياسة والشحناء بين المتخاصمين بسببها ، ودخل الحسد بين العلماء أنفسهم، والمنافسة على الغلبة والتمكين ؛ مرة لنيل رضا الحكام ومرة لأسباب أخرى شخصية واجتماعية .

ثانيا : عقوبات أرباب السلطة على الكتب والرقابة عليها :

مر بنا الحديث عن دور الحكام وأولي السلطة في التحكم وبمراقبة الفكر المدون كما الفكر الشفوي ، وكان للالتزام الديني الأثر الأكبر بداية ثم تداخل معه الأثر السياسي وترابط الاثنان عند الحكام كما عند العلماء والعامة ، فدين الناس على دين ملوكهم شاءوا أم أبوا، ولما تطورت العلوم وانشقت عن بعضها، وازداد عددها، وأصبح العلماء يتخصصون بشكل أعمق، ويسجلون في مؤلفاتهم علومهم في ذلك التخصص وما يتبعه من علوم أخرى ، هنا ظهرت الاختلافات بين آراء العلماء، والنظريات التي يطرحها كل عالم ومفكر على حدة؛ لأن العلوم الجديدة كانت في بداية نشأتها، ومازالت تحت الاختبار والتجربة ، فكان أول ظهور هذا الاختلاف هو بين الفقهاء والمفسرين ثم بين اللغويين ثم بين الشعراء، وكان لكل نوع من هذه الاختلافات انعكاسٌ واضحٌ على السلطة والناس، وبذلك لم يعد يطرح على الساحة الفكرية والعلمية العربية الإسلامية أي كتاب أو فكرة مالم يؤيده أو يعارضه مختلف شرائح المجتمع آنذاك ، ومن هنا تعاقبت الويلات والمحن على أوعية الفكر وأصحابها ، فمنها ما نجا ومنها ما أتلف ، وتولى الحكام والمتنفذون في العصور الإسلامية مهمة إتلاف الفكر المدون ومحاربة (المنحرفين عن الحق) منهم؛ ولكن أتى ذلك على حساب آخرين حوربوا ظلما، وظلم علمهم، ولما ينصفهم أحد بسبب غياب الحقيقة لسبب أو لآخر. ونضرب لذلك بعض الأمثلة :

١-حرق كتاب الإمام الغزالي(إحياء علوم الدين) ، بأمر من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين ، فلما أخبر بذلك تنبأ بزوال ملك المرابطين وقيام دولة الموحدين .

٢-مصادرة مكتبة ابن رشد من داره ثم اتهامه بالزندقة والكفر والإلحاد.

٣-حرق كتب ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦هـ) وتمزيقها أكثر من مرة، من قبل ملك من ملوك الطوائف وهو المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وقد كان ابن حزم غزير التأليف حيث وصلت كتبه إلى ٤٠٠ مجلد بخطّه [١٢] ، لتأييده لمذهب الشافعي أولا ثم للظاهري ثانيا ، فطرد من إشبيلية.

٤-أحرق السلطان محمود الغزنوي مكتبة الصاحب بن عباد في مدينة الري بعد أن أوقفها.

٥-خازن مكتبة رباط المأمونية في بغداد واسمه (أبو المعالي أحمد بن هبة الله ت ٥٨٦هـ)[١٣] ، قام بغسل كتاب ألفه أبو العلاء المعري الشاعر(ت٤٩٤هـ) وكان موضوعه في نقض القرآن وهو كتاب (الفصول والغايات) ، لمّا لم يعجبه [١٤].

٦-الشيخ عبد السلام توفي بعد ٥٨٩هـ ابن الشيخ عبد القادر الجيلاني ت ٥٦١هـ ، أحرقت كتبه في منطقة الرحبة ببغداد، بعد أن أقنع الخليفة العباسي الناصر لدين الله بما نقله الواشون والجهلة من أنه يرجع في أقواله إلى أهل الفلسفة وعلوم الأوائل، وسجن ونال من الشتائم والاستهزاء الكثير.[١٥]

٧-بعد دخول الموحدين إلى الأندلس تغير المذهب فأصبح المالكية محاربين، وكانت كتبهم تجمع وتتلف، فقد أمر الأمير أبو يعقوب بن يوسف (ت ٥٨٠هـ) بإحراق كل ما وجدوا من كتب الفقه المالكي ومنعوا دراسته وعُمّم ذلك على سائر مناطق مملكته.والحق أن من الطبيعي تفاوت المدارك والأفهام والاستعدادات عند الناس فالأمر يعود إلى طبيعة البشر في التفاوت والاختلاف بصرف النظر عن انتماءاتهم الفكرية والعقائدية ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على طرائق تفكيرهم في التعمق بالأشياء وسبر أغوارها أو الوقوف على سطوحها وظواهرها ، ولهم في ذلك مناهج عدة ولن ينتهي الأمر عند نقطة ما فعل السابقون من إتلافهم للكتب فالاختلاف ماض في البشر إلى قيام الساعة ، لكن يبقى تأثير هذا الإتلاف مثيرا للجدل وحاجبا للحقائق .

المبحث الثاني:

أولا:- أثر نكبات المكتبات على الحركة العلمية الإسلامية وحركة الكتب.

كان لجميع النكبات الثقافية والفكرية التي تعرضت لها الكتب والمكتبات في شتى البقاع والمدن الإسلامية، في العهدين الأموي والعباسي؛ أثر على الحركة العلمية والثقافية والحضارية في جميع بلاد المسلمين وإن تفرقت تواريخ حدوثها.ولعل أثر هذه النكبات ظهر وانعكس على أكثر من صعيد، ولا نتوقع أن الأثر كان إيجابيا ، فما من محنة فكرية إلا ويرافقها انطماس لبعض الحقائق إن لم يكن كلها، ولكن هذا لم يمنع أن تُظِهر بعض المكتبات أو الكتب أو الأفكار بعض الصمود والاستمرار بفضل عوامل عدة منها :

١-اهتمام بعض الأشخاص وتصديهم لنكبات الكتب ومحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، كما حصل في مصر بعد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد عندما بيعت كتب الفاطميين، وحسنا فعل الوزير قراقوش في بيعها ولم يتلفها، ومنها أنشأ بعض العلماء والشخصيات مكتباتهم الشخصية . وفي الأندلس

عندما حمى المركيز فيلادا وحال دون إحراق ما تبقى من كتب المسلمين ومخطوطاتهم التي لا يتجاوز عددها أربعة آلاف[١٦] مخطوطة وأغلبها علمية .

٢-حرص بعض الناس على الهروب بكتبهم على قدر استطاعتهم وإخفائها عن أنظار المدمّرين لها ، كما حصل من هروب بعض علماء مصر مع ملفاتهم بعد مطاردة الفاطميين لهم . وهروب من بغداد أيام المغول إلى البصرة عن طريق نهر دجلة[١٧]

٣-بعض المدن والأماكن لم يصلها الغزاة أو وصلها لكن لأمر ما لم يدمروا مكتباتها ، كما في مكتبتي المدينتين الشرفيتين مكة والمدينة .

٤-العامل الآخر وهو غريب عندما سرق الغزاة المغول كتب المسلمين من بغداد ليعمروا بها مكتبة (الرصد) في مراغة ، وأصبحت مكتبة إسلامية أيضا . ومثل ذلك حدث في غزو تيمورلنك وحملوها معهم . وكذلك اختيار الأسبان لعدد معين من الكتب العلمية ولم يحرقوها في ساحة (باب الرحلة) مع أكثر من مليون كتاب ، ورأوا أن هذه الكتب فيها من العلوم ما ينفعهم ، وبالفعل تم لهم ذلك ونهضت أوروبا بفضل كتب المسلمين وعلمائهم أما نكبات الفكر فكان لها أثر واضح في الحركة العلمية عند المسلمين ، وقد ذكرنا سابقا أنّ الاختلاف المذهبي كان سببا في نشوء المكتبات ، وكان سببا في محاربة الأفكار وتدميرا لعلمائها أيضا ، وأصبح أغلب الخلفاء والأمراء يراقبون كل ما يطرح من أفكار شفوية أو مدونة تخالف الدين أو السياسة ، ففي العصر الأموي مثلا حصل اتهام عبد الصمد بن عبد الأعلى بالزندقة وهو مؤدب (معلم) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وضرب الإمام مالك بن أنس سبعين سوطا وضُرِب أبا عمرو بن العلاء خمسمائة سوط ، وضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير بالسوط مائة مرة فمات بسببها بعد أنْ اختص بعلم لم يفهمه، أحد فخمّنوا أنه من علم النجوم وعبد الرحمن بن أبي ليلى نال منه السوط لأنه معارض سياسي ، وكذلك أبو بهيس الهيصم بن جابر الذي قتله الوليد بن يزيد؛ بعد اتهامه بالزندقة.[١٨] ، وإذ لم تذكر كتب التاريخ كثيرا ما آلت إليه تلك المؤلفات في عهد الدولة الأموية فقد بدأ اضطهاد العلماء قبل اضطهاد الكتب وشاع في العصر العباسي معاقبة الأفكار الشفهية والمدونة التي تتعارض مع ما هو سائد ومطروح؛ تجنبا للفتن والبدع لكن بسبب ذلك ضاع كثير من المعلومات.غير أنّ بعض تلك النكبات كانت سببا في تحرك الكتب لإنشاء مكتبات جديدة في أماكن أخرى، وهكذا نجد أمثلة كثيرة في المشرق العربي ومغربه أدت النكبات فيهما إلى استفادة قوم آخرين ومن أمثلة ذلك :

١-أدى إحراق العباسيين لقصور الأمويين إلى نقل بعض الكتب التي وجدت في خزائنهم إلى بغداد؛ خاصة الكتب المترجمة، ممّا أدى الى نهضة علمية كبيرة ابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري.

٢-أدى إحراق مكتبات بغداد ونهبها إلى إنشاء مكتبة مراغة(مكتبة الرصد)، التي كانت مكتبة كبيرة وهامة، قامت بعد سرقة كتب مكتبات بغداد وسرقتها وهذا ما ذكره ابن الفوطي عندما كان خازنا للمكتبة كما مر بنا سابقا.

٣-انتقال الكتب مع اضطهاد الفاطميين لبعض علماء المذاهب فأُخرجت من خزانتهم إلى مدن المغرب العربي الى مصر وإلى الأندلس .ومن الأندلس إلى أوروبا ومعها أيضا انتقلت صناعة الورق والتجليد وصناعة بعض الأحبار وكانت أحد أسباب النهضة الأوروبية .

٤-الغزو الصليبي والحروب الصليبية كانت معبرا للحضارة العربية الاسلامية إلى أوربا، وخاصة بعد أن استوطن عدد من الأوروبيين في مناطق بلاد الشام، حتى أصبح منهم علماء يكتبون بالعربية ويؤلفون كتبا مثل (حنا الإبليني) و(وليم الصوري)، لقد استحوذ هؤلاء الغزاة الصليبيون على كتب كثيرة من المكتبات العربية وقرؤوها جيدا، وتعلموا شراء الكتب واقتناءها؛ حتى تأثروا في كتاباتهم لدرجة أنهم أدخلوا كثيرا من الكلمات العربية في أشعارهم وأدبهم ، ناهيك عن تقليدهم للعرب المسلمين في الثقافة العامة من مأكل وملبس وأعراف أخرى كثيرة مازالت تشهد بها كتبهم وعلمائهم [١٩].أما التأثير السلبي الواضح الذي امتد لقرون مرت بها الدولة العربية الإسلامية، فهو ما حصل للحركة العلمية التي ازدهرت لقرون طويلة حتى مع الاختلافات السياسية ، نرى أن الاختلاف المذهبي والاختلاف الفكري إن كان دينيا أم لا؛ ومخلفات العدو والغزو كان له الأثر الكبير في إطفاء جذوة التأليف وتصنيف الكتب، وإبطاء وتيرة التطور والازدهار الفكري والعلمي[٢٠]، حتى تراجعت الحضارة العربية منعكسة على الفرد والمجتمع خوفا من الفتن وخوفا من القمع المصاحب لأي تحرك علمي[٢١]. ونذكر أمثلة مختلفة عن ذلك الحال الذي رادف بعضه بعضا :

١-قلة النتاج الفكري العلمي بمختلف أصنافه ، فلم تظهر مؤلفات سوى بعض مؤلفات التراجم والسير وكتب التاريخ ، وألغي التأليف في موضوعات الفلسفة والفلك والكيمياء والجغرافيا والعلوم التطبيقية .

٢-تراجع في عدد الطلاب والدارسين ومن ثم المتعلمين فبدأ انتشار الأمية .

٣-ازدياد الفقر الفكري فلم تعد الأفكار التي تطرح تأتي بجديد فسادت رتابة الموضوعات.

٤-تراجع الأدب العربي عموما والشعر خاصة وهبط مستواه وقل الشعراء المجيدين .

٥-لم تعد المكتبات مجالسا للثقافة وأندية للفكر والتعلم والتدريس والبحث كما كانت سابق، حتى بعد عودة الحياة إلى العاصمة بغداد بعد انسحاب المغول.

٦-اندمجت مدرسة البصرة مع مدرسة الكوفة فكريا واضمحلت عمليا، وأصبحت نتاجاتهما العلمية تذهب إلى مدارس العاصمة بغداد وخزانات الكتب فيها، ولم يبق لهما تلك الشهرة كما كانت في القرنين الثاني والثالث ، تأثرا بالاضطرابات والمحن السياسية والاجتماعية وغيرها .

٧-تعدد جهات الغزو تسبب في نقل مئات الآلاف من المخطوطات وأغلقت عليها المكتبات في الدول الأخرى شرقا وغربا، فصودرت الأفكار والعلوم ، وتمخض عن ذلك حرمان المكتبات العربية الإسلامية من كنوز كثيرة؛ انعكس ذلك كله على حركة التغيير والإبداع العلمي العربي فتراجع بذلك صرح الحضارة الإسلامية .

أنواع أخرى من النكبات :

١-**التزوير والانتحال** :تعرضت بعض الكتب المخطوطة للسرقة العلمية وتزوير الحقائق وانتحال بعض الموضوعات لا بل وبعض الكتب وتغيير في صحة نسبتها إلى مؤلفين آخرين ، ولمّا كانت الكتب عبر العصور العربية الإسلامية عبارة عن مخطوطات كتبت باليد؛ فإنّ بعضها قد تعرض إلى واحدة أو أكثر من هذه المحن ، وهو أمر معروف ومشخص منذ زمن بعيد؛ كتب فيه أهل العلم وألفوا الكتب بذلك، وكشفوا كثيرا من الحقائق وأعادوا بعض الحقوق الفكرية إلى أصحابها ، وعلاقة المكتبات بهذا الأمر أنها تكون قد احتوت وحفظت في خزائنها وبين كتبها أعداد كبيرة من الكتب التي تعرضت إلى التزوير أو التحريف أو غيره ، غير أن المكتبات نفسها كانت تحتوي وسيلة الإنقاذ للتخلص من هذه الآفات فبالإمكان كشف اي لبس متعمد أو غير متعمد عن طريق تدقيق كتب المؤلفات، وكتب التراجم، ومقارنة الأسلوب والخط وغيرها من الطرق التي اعتمدها المحققون العرب ، لكن في العصرين الأموي والعباسي ما كانت لتكتشف بهذه الطرق، ولعب العلماء دورا في الحفاظ على سلامة المخطوط فكانت النسخ للمخطوط الواحد تقابل بحرص شديد ، وقد شهد العلماء عمل النسخ والوراقة بأنفسهم ، وكان لخبراتهم العلمية دور بارز في كشف التزوير والانتحال المكتوب والشفوي [٢٢].

٢-**بيع الكتب بعد وقفها** حدث أن بيعت بعض الكتب بعد وقفها ، لأن دار الكتب في المدرسة النظامية سدت مسدا كبيرا في الاستغناء عن هذه المكتبات الصغيرة ، ومن أمثلة ذلك ، ما رواه ابن الجوزي فقال: " وقد ابتنى بشارع ابن أبي عوف دار كتب، ووقف فيها نحوًا من أربعمائة مجلد في فنون العلوم، ورتب بها خازنا يقال له: ابن الأقساسي العلوي، وتكرر العلماء إليها سنين كثيرة ما لم تزل له أجرة، فصرف الخازن وحك ذكر الوقف من الكتب وباعها، فأنكرت ذلك عليه فقال: قد استغنى عنها بدار الكتب النظامية ، قَالَ المصنف: فقلت بيع الكتب بعد وقفها محظور. فقال: قد صرفت ثمنها في الصدقات".([٢٣])ويدل هذا النص أن التراجع بالوقف بعد إقراره محظور أي محرم ، وكان الأجدر به تحويل وقفها الى مكان آخر وعدم التعلل بتوزيع ثمنها صدقة وإلا فالشك بتصرفه أدعى من تصديق ذلك .

٣-**سوء النقل والنسخ** :وهذه مشكلة أخرى حقيقية عانت منها النسخ الأخرى للمخطوط الأصلي وهو سوء النقل والاستنساخ وعدم المقابلة بين النسخ ، فهذ إبراهيمُ بن موسى بن جَميلٍ: مَولى بني أمَيّةَ؛ يُكنّى: أبا إسحاقَ يحكي فيقول[٢٤]:"خَبّرني عبد الله بن محمد بن عليّ بن محمد بن قاسمٍ: أن أصله من تدْميرَ. رحلَ إلى المَشرِق: فسمعَ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بِمصر؛ ومن عليّ بن عبد العزيز بِمكة، ودخلَ بغداد: فسمعَ بها من أحمد بن زُهَيْر بن حرب، وعبد الله بن أحمد ...أخبرني أبو محمدٍ عبدُ الله بن مُحمد بن عليٍّ؛ قال: سَمِعْنا أبا محمدٍ قاسِم بن أصْبَغَ، يقولُ: سَمِعتُ إبراهيم بن موسى بن جَميلٍ، يقرأُ الجزءِ السادسَ من المعارِف لابن قُتَيبةَ؛ وقد قَلَبه: بالتّصحيفِ واللّحنِ والخطأ؛ فَشَقّ ذلك عليه – حين رآنا – أشدَّ المشقةِ.قال قاسِمٌ: وكنا نسخْنا من كتابِه – بمصر –: كتاب البصريّيْن من تاريخ ابن أبي خَيْثَمَةَ؛ فلمّا قدِمنا بغداد، وشهِدْنا بنُسختنا عندَ ابن أبي خيثمةَ، فقرأها عليْنا –: وجدناها مُخطئةً كلها؛ حتى أنكَرَنا، وقال: ما شأنُ كتابكم اليوم؟ فقلنا له: نسخْناه من كتابِ ابن جَميلٍ، وقد قُرئ على أهلِ مِصرَ، فقال: الحمدُ لله الذي لم يَدخُل كتابي عندهم صحيحاً؛ ما كان أهلُ مصرَ يَستحقون مثلَ هذا ، ثم أخذْنا كتابه، وقابلنا به؛ ولقد بقيَ علينا فيه بَقايا: لم تَتمَّ بعدُ، ولا تَتمُّ أبداً "[٢٥].ونلحظ لولا مجيئه إلى المشرق واكتشافه سوء ما نقل في مصر لبقي الناس يتداولون النسخة المخطوءة ، وهذا بسبب حركة الكتب وانتقالها إلى أماكن بعيدة عن موطنها الأصلي الذي وُجدت به أو بسبب نقلها سماعا دون الحفظ والمراجعة والتدقيق .

المبحث الثالث : حركة الكتب وتداولها انتقال الكتب

قبل الحديث عن حركة الكتب العربية وانتقالها ومن ثم بيان تأثير هذا الانتقال أثناء عهود الازدهار وبعدها ، نستوضح حركة العلماء وطلاب العلم باتجاهين:

الاتجاه الأول : من المشرق وإليه .

الاتجاه الثاني : من المغرب وإليه.

ثم الانتقال بين المشرق والمغرب

في عهد الدولة الأموية كانت حركة الكتب بداية من الدول المجاورة في الشرق والغرب إلى مركز الدولة الإسلامية بدمشق ، ولم تنطلق بالاتجاه المعاكس غير المصاحف وبعض كتب السيرة والحديث إلى المدن الإسلامية والثغور.وفي العصر العباسي الأول انتشرت وقويت حركة الكتب وبدأت حركتها انطلاقا من بغداد والبصرة ثم من مدن الشرق في نيسابور وخراسان إلى أقصى المشرق ، وغربا إلى مصر والقيروان مرورا بالشام وفلسطين وصولا إلى المغرب والأندلس ، فلما ازدهرت الأندلس وأصبحت تنافس بغداد والقاهرة في العصر العباسي الثاني ، أصبحت هناك حركة راجعة من نتاج علمائها باتجاه المغرب وتونس وصولا إلى القاهرة . ثم أصبح العالم كله يوجه أنظاره الى الكتب العربية العلمية والأدبية فبدأ وصولها الى أوروبا من طريقين :الطريق من بغداد والمشرق إلى الشام ولبنان، ثم تركيا ومنها إلى أوروبا وجزر قبرص وصقلية.الطريق من شمال المغرب والأندلس مباشرة الى أوروبا، ابتداء من فرنسا والدول المطلة على الساحل الشمالي للبحر الأبيض المتوسط وكان من أثر انتقال الكتب من الشرق الى بلاد الأندلس هو دخول الفكر الاعتزالي كما حدّث بذلك المراكشي[٢٦] عن شخص ترجم له يدعى (أحمدُ بن أحمدَ بن محمد بن إسماعيلَ بن محمد بن خَلَف الحَضْرَمي، من أهل إشبيليةَ، يُكْنَى أبا العبّاس، ويُعرَفُ بابن رأس غَنَمَة، وهو راوٍ ومحدث) فيقول " ورحَلَ إلى المشرق في حدودِ الخمس والتسعينَ وخمس مئة مرافقًا الشهيدَ أبا بكرٍ ابنَ أحمدَ الكِنانيَّ ... ، فأدَّيا فريضةَ الحجّ ولقِيا هنالك بقايا الشّيوخ فأخَذا عن طائفةٍ منهم، وقَفَلا إلى الأندَلُس واستَصحَبا فوائدَ جمّةً وغرائبَ كتُب لا عهدَ لأهل الأندَلُس بها انتَسخاها هنالك، وتوافَقا على أن يَنسَخَ أو يقابِلَ أحدُهما غيرَ ما يَنسَخُه رفيقُه أو يُقابلُه استعجالاً لتحصيلِ الفائدة، حتّى إذا ألقيا عصا التَّسْيار بمقَرّهما إشبيليةَ انتسَخَ كلُّ واحد منهما من قِبَل صاحبِه ما فاتَه نَسْخُه بتلك البلاد" ويكمل " فكان ممّا جَلَباه: "الكشّاف عن حقائقِ التنزيل" صَنعةُ جارِ الله العلّامة الأوحَد أبي القاسم محمودِ بن عُمرَ بن محمد الخُوارِزْميّ الزَّمخشَري، وكان مما تولّى نَسْخَه أبو العبّاس هذا من الأصل المُحَبّسُ بمدرسة القاضي الفاضل أبي عليٍّ عبد الرّحيم بن عليّ بن الحَسَن بن الحَسَن بن أحمدَ البَيْسانيّ، رحمه اللهُ، بالقاهرة، وهو مسموعٌ على مصنِّفِه، و"مقاماتُ الزّمخشَريّ الخمسون" ، و"شرحُ السُّنة" تأليفُ الإمام أبي محمد الحُسَين بن مسعود البَغَويُّ رحمه الله، و"تاجُ اللُّغة وصِحاحُ العربية" تصنيفُ أبي نصرٍ إسماعيلَ بن حمّاد الفارابي نزيلِ نَيْسابورَ المعروفِ بالجَوْهريّ رحمه الله، وهو مما قابَلَه أبو العبّاس هذا، وكانت النُّسخةُ التي جَلَباها من هذا الكتابِ في ثمانية أسفار بخطٍّ مشرِقي ... إلى غير ذلك من التصانيف" ، ثم يكمل،" وكان أبو العبّاس نبيلَ الخطِّ نقِيَّ الوِراقة حسَنَ الطريقة، كتَبَ بخطِّه الكثيرَ من دواوين العلم عمومًا ومن هذه المُسمّاة خصوصًا، باقتراح رؤساءِ عصرِه من الأُمراءِ والقضاة واغتنامِهم ما يكونُ بخطِّه عندَهم وإجزالِهم له المَثُوبةَ عليه، وكذلك كانوا يَرغَبونَ في مقابلتِه الكُتبَ ومعاناة تصحيحِها ثقةً منهم بإتقانِه وجَوْدةِ ضبطِه. وكان الفقيهُ أبو الحُسَين محمدُ بن محمد بن زَرْقُونَ رحمه الله –وسيأتي ذكْرُه في موضعِه إن شاء الله – ينعَى على أبي العبّاس هذا جَلْبَه "الكشّافَ" هذا، لما تضمَّنَه من المذهبِ الاعتزالي، ويقول: قد كانتِ الأندَلُس مُنَزَّهةً عن هذا..."[٢٧] ، ونلاحظ أن هذه السفرة إلى المشرق المتأخرة نسبيا عن حمل الكتب إلى بلاد المغرب؛ ماهي إلا مثال لكثير من الرحلات قبلها وسبب ذلك توالي التأليف وتأخر الانتشار . ومن هذا النص نستشف عدة أمور مهمة فيها إشارات لبعض أوضاع حركة الكتب ونقلها وهي :

١– إن فريضة الحج يصحبها دائما اللقاء بالعلماء، والاتصال بهم غاية الحاج في مدن رئيسية يمرون بها للقادمين من المغرب إلى المشرق ابتداء من القاهرة ثم دمشق ثم بغداد، وأخيرا مكة والمدينة ولهذا فإنّ طلاب العلم من الحجاج متلهفون لاستثمار فرصتهم هذه بأقصى حد.

٢–نظرا لضيق وقت الحجاج وارتحالهم عن المدن فقد اعتمدوا طريقة للإسراع في استنساخ الكتب ومقابلتها لاحقا؛ بأنْ يقوم كل واحد بنسخ قسم من الكتب على أن يقوم الآخر بنسخ غيرها، ثم إذا وصلا بلادهما قاما بمقابلة النسخ ومعارضتها وتنقيحها والتأكد من سلامتها من الخطأ وليكون لكل كتاب نسختان وبذلك ضمنا الوقت والعدد.

٣– هذه الحادثة وقعت في (٥٩٥هـ) ، أي نهاية القرن السادس ومع ذلك فمازال الكثير من كتب المشرق لم تصل إلى المغرب الإسلامي ، فالنتاج غزير في المكانين ولا تستطيع القوافل تغطية سفر تلك الكتب إلى تلك الأماكن البعيدة إلا في حدود ضيقة بفضل جهود فردية .

٤– دخول أنواع معينة من العلوم كانت سببا بانتشار أفكار غريبة على بلاد الأندلس ربما أدت فيما أدت إليه من الاختلاف والفتنة ، ولذا فإن مراقبة النقل هنا كانت ضعيفة .

انتقال المكتبات والكتب بين المغرب والأندلس :

أحد أهم الكتب التي كان لها أثرا ديني وتاريخي واجتماعي هي عملية نقل المصحف العثماني إلى المغرب جاء مع ما جاء من أموال بعثها حاكم صقلية عام (٥٧٥هـ) "ومنها هذا المصحف الذي ذكرناه، وقع إليهم من نسخ عثمان –رضي الله عنه– من خزائن بني أمية، يحملونه بين أيديهم أنى توجهوا، على ناقة حمراء عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة ما يعدل أموالًا طائلة. وقد جعلوا تحته بردعة من الديباج الأخضر يجعلونه عليها، وعن يمينه ويساره عصوان عليهما لواءان أخضران" [٢٨]،هذا وصف للطريقة التي حمل بها المصحف الشريف ، يعني أنّه حدث أن انتقل من الشام إلى صقلية ولا يعرف بأي طريقة تم هذا الانتقال سادت ظروف سياسية واجتماعية صعبة ومتغيرة طوال مدة طويلة في مدن المغرب والأندلس؛ ممّا أدى إلى حركة متعاكسة من وإلى الأندلس للكتب والمكتبات وأسباب ذلك عديدة نذكر منها :

١–طلب العلم : تحركت الكتب بفضل طلاب العلم باتجاهات مختلفة؛ فكانت أولا تأتي من مصر وتونس (إفريقية) لتستقر في الأندلس ، وبعد الازدهار الحضاري الكبير في الذي شهدته مدن الأندلس وبيوت علومها ؛ شُدّت الرحال إليها من المغاربة فهذا (يصلتن بن داود الأغماتي ت٢٧١) الذي رحل إلى قرطبة طالبا، عاد ومعه كتب عظيمة ، واستمرت الكتب تتدفق إلى مدن المغرب بفضل طلابها لعقود طويلة .

٢–الهجرة: على العكس من النقطة الأولى فان علماء الأندلس رحلوا إلى المغرب وشمال إفريقيا بأزمنة مختلفة لسبب رئيسي هو الظروف السياسية والأمنية ، وحملوا معهم مكتباتهم لاسيما بعد الزحف المسيحي لمدن الأندلس ، ناهيك عن الاضطهاد السياسي والديني في عصور ملوك الطوائف ، ومثال ذلك نقل مكتبة ابن ملجوم وعائلته، وكانت مكتبة كبيرة تحتوي أنفس المخطوطات والمؤلفات الأندلسية من شرق الأندلس إلى مدينة فاس بالمغرب.

٣– التغيير السياسي: عندما حكم المرابطون والموحدون ووصل حكمهم إلى مدن أندلسية عديدة، تسبب هذا في تنشيط حركة الكتب بين المغرب والأندلس، حسب حركة الحكام وما يرافقها من استقطاب للعلماء والمفكرين . فما إنْ انتهت الدولة الإسلامية في الأندلس ونجا العديد من المكتبات الشخصية، حتى تفرقت الكتب الإسلامية بين مدن المغرب العربي في مراكش وفاس وسبتة وتطوان وبعضها محفوظ إلى الآن في الخزانة الملكية في المغرب [٢٩].

٤–هناك حركة معاكسة للكتب حدثت من البلاد العربية الإسلامية إلى أوروبا وآسيا وإفريقيا ، فقد مر بنا في فصل سابق نمو مكتبات في بلاد المغول والتتار على حساب ما تم تخريبه في بغداد وغيرها من مدن المسلمين ، وهذه المكتبات أسست لعلوم وثقافات أخرى منشؤها عربي إسلامي ، ووضح تأثير ذلك في عادات الناس وبنيانهم فمساجد سمرقند وطاشقند ومعابد الهند والسند وغيرها، وما تم ترجمته ونسخه من كتب العلوم العربية غير قليل وكان ذلك قد ابتدأ قبل سقوط بغداد بزمن.

٥– التأثير المعرفي العربي وصل مداه العالم أجمع، وظهر ذلك في انتقال صناعة الورق من العرب إلى أوروبا التي استفادت لاحقا مما حصلت عليه من كتب العلوم المنهوبة من مناطق الشام شرقا والأندلس غربا عندما احتفظوا بتلك الكتب (العلمية) في الطب والرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك والأدوية والصناعات والجغرافية وترجموها إلى اللاتينية لغة أوروبا المشتركة في القرون الوسطى .وكانت الأندلس أكبر ممرات العلوم والمعرفة إليهم .

العرب أساس اختراع الطباعة :

مهدت صناعة الورق في أوروبا لصناعة أخرى كانت سببا مباشرا في النهضة الأوروبية وهي اختراع الآلة الطابعة (الحجرية) والحديثة نسبيا، وأول شعور بالشك في أصل اختراع الطباعة هو وصول صناعة الورق إلى ألمانيا وإيطاليا ودول أخرى؛ عندما ذكرنا سابقا أن الجنيون[٣٠] الإيطاليون نهبوا ما كان في بيروت وطرابلس ومما نهبوه مصانع الورق واكتسبوا الصنعة، وانتقلت إلى إيطاليا والمجر، ومع ما وصل إلى أوروبا عن طريق الأندلس ، وشيئا فشيئا وبتأثير مباشر للحضارة العربية المتطورة على شعوب أوروبا ، وبفضل طلاب العلم الأوربيين ممن تأثروا بحضارة المسلمين وقلدوهم وترجموا كتبهم وانتبهوا إلى نقل المبادئ الأساسية لنهضة أي أمة وهو التعليم [٣١].وتبدأ القصة من علاقة المسلمين في وقت من الأوقات بمدينة فلورنسا الإيطالية وتناميها في ظل حكم عائلة (ميدتشي)Medici [٣٢] الشهيرة بسيطرتها المالية والسياسية التي كان لها الأثر البالغ في النهضة الأوروبية ما بين القرن الثالث عشر إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وأنها ارتبطت تجاريا مع بلاد الشام بعهد وريثها (كوزيمة) وله علاقات ثقافية مع المسلمين الأتراك، وكان سببا في وصول الثقافة والعلوم الإسلامية إلى دول أوروبية عديدة ، منها ألمانيا ، وفي مقالة حديثة نشرت لباحث مؤرخ في الحضارة الإسلامية[٣٣] ، جاء فيها طريقة وصول فكرة الطباعة إلى يوهانس غوتنبيرغ (Johannes Gutenberg)

من موروثات المسلمين العلمية ، إذ إنه أرجع هذا الاختراع إلى آلة موجودة في بيت الحكمة في القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي ، مركز الترجمة والاستنساخ في الدولة العباسية ، وكانت تسمى (الطرش)[٣٤] وهي عبارة عن قوالب من الخشب يحمل كل قالب اسما أو رسما لحرف أو إطارٍ للصفحات، ليطبع على صفحات خالية بعد تحبيره، ولعبت آلة الطرش دورا في التقدم العلمي بتسريع أعمال النسخ ، وذكر صاحب المقال أن آلة أخرى تطورت عند العباسيين فقد تم اختراع آلة ضوئية تتحول فيها الكلمات الى شحنات ضوئية تنعكس على مرآة مكورة وتصطدم بحجرة بخار فتتحول الورقة المكتوبة الى صورة[٣٥] ويتابع فيقول إن الطباعة تطورت وأدت دورا كبيرا في تعويض الكارثة العلمية التي حصلت عندما سقطت بغداد بأيدي المغول ، ودمرت مكتباتها فكانت هذه الآلة الطابعة تستعمل بكثرة في القاهرة ابتداء من عام ٦٥٩هـ / ١٢٦١م ، ومن القاهرة انتقلت فكرة الآلة الى أوروبا بعد هذا التاريخ[٣٦] عن طريق أسرة ميديتشي التي اهتمت كثيرا بالفنون والحضارة الإسلامية لتميز تلك العائلة برعايتها للفنون عموما، وكان لهم احتكاك بالعرب لوجود مصالح مالية لهم في مصر وكانت هذه العائلة إحدى أهم رواد النهضة في أوروبا ، فانتقلت تقنية الطبع بالطرش إلى فلورنسا ومنها إلى أوروبا ، ثم طورها غوتنبيرغ عام ١٤٤٠م إلى طابعة متحركة الحروف وهذا هو الإنجاز الذي أحدثته ثورة الطباعة بطبع آلاف النسخ في وقت قصير ، وما نسب من أنه مخترعها من الأصل ليس صحيحا ، وهناك دراسات أخرى تدعم هذا الرأي عندما ذكرت بعض المصادر العربية مواكبة العرب آلة طبع يستعملها الصينيون[٣٧] تشبه الآلة التي لديهم، وقد شاهد هذه الآلة أحد الرحالة العرب في القرن الرابع عشر الميلادي ، وإذا كان الورق اختراع صيني فلا يستبعد أن يصنعوا آلة للطبع عليه ، ولم يجر الحديث كثيرا عنها لأن العرب قد اعتادوا الخط باليد لجماله ولم يهتموا بتطوير غوتنبيرغ ولا استغربوه إلا بعد مدة طويلة امتدت لقرنين من الزمان [٣٨]. والأمر الذي يدعو إلى الشك في أصل اختراع غوتنبيرغ؛ هو ما ورد في بعض المصادر الأندلسية؛ إذ تتحدث عن وجود أدوات للطباعة ذكرها ابن الخطيب في كتابه الإحاطة؛ عن مؤلف يدعى (أبو بكر القللوسي) الذي أهدى لوزيره كتابا فيه خصائص صناعة الحبر وأدوات الطباعة وهذا نصه" ورفع للوزير ابن الحكيم كتابا في الخواص وصنعة الأمدّة **والتطبّع الشاب**، غريبا في معناه" [٣٩] قصد أنه لم يفهم معنى التطبع الشاب، وجاء ت كلمة الطبع مرة أخرى في كتاب ابن الآبار الحلة السيراء[٤٠] ، وهذا أقرب في وصول فكرة الطباعة إلى المانيا من انتقالها عبر إيطاليا ، وترى الباحثة أنه في كلا الحالتين فإن الطباعة بالألواح الخشبية الثابتة عرفها العرب قبل الأوروبيون ليس بأقل من ثلاثة قرون[٤١].إن من نواتج استيلاء الأوروبيين على مخطوطات الكتب العلمية العربية وترجمتها وتطبيق ما فيها؛ هو ما تلا انسحاب المسلمين من الأندلس، وشمل التأثير الحضاري على أوروبا جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فكتاب (الحاوي) في الطب للرازي ورسائل الحسن ابن الهيثم (كتابه المناظر) في الضوء والبصريات؛ ووضعه للأسس العلمية لعدسة التصوير (القمرة) وقد ترجمت أعماله إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، واستفاد منه علماء أوروبا بعد قرون، مثل روبرت جروستستي وتلميذه روجر بيكون وجوهانس كيبلر [٤٢] ، والاكتشافات الجغرافية، وأجهزة الرصد الفلكي، وأجهزة حركة السفن في البحر وغيرها ، هذه الكتب الأصيلة التأليف لم تدخل أوروبا إلا وقد خرجت بثورة علمية صناعية قبل تطوير غوتنبيرغ للطباعة وانتشار المطابع وإذا كان الغرب قد أبدع في تطبيق التجارب والبحوث العربية في شتى المجالات العلمية والتقنية؛ فإن دول الشرق قد تأثرت بالنتاج الفكري العربي الإسلامي الذي وصل إليها بالسلم وبالحرب، وظهر ذلك باتجاه التشييد والبناء والهندسة المعمارية والزخرفة الفنية والقباب . وكانت مدن الهند والصين واندونيسيا وروسيا وغيرها قد انتقلت اليها الحضارة ابتداء من زمن الفتوحات وطرق التجارة في القرن الأول الهجري وصولا إلى غزو بغداد والسيطرة على منبع الحضارة الإنسانية فيها في القرن السابع الهجري.وجاءت ترجمة الكتب العربية للغات الشرقية؛ مؤثرة تأثيرا واضحا ملموسا في آداب وفلسفات تلك الشعوب الشرقية ، فهم يقرون بدور الكتب الإسلامية ابتداء من القرآن الكريم والسنة الشريفة في الحياة الثقافية والروحية ، فتولستوي (L.Tolstoi) الأديب والكاتب الروسي الشهير(١٨٢٨– ١٩١٠م) ، ألف كتابه الشهير (حِكَم النبي محمد) – صلى الله عليه وسلم – لشدة إعجابه بالإسلام وتعاليمه في الزهد والأخلاق والتربية الحميدة[٤٣]. وكذلك مجموعته الشعرية (قبسات من القرآن) ، ثم هناك ديستوفيسكي وإيفان بونين وميخائيل ليرمونتوف[٤٤]، وعدد آخر من المفكرين والأدباء الروس [٤٥] ، ويذكر أن أقدم مخطوطة عربية مترجمة إلى اللغة الروسية حوالي سنة ٥٠٥هـ وهي تتحدث عن الأمير الروسي الذي دخل الإسلام ثم تراجع عنه وفي الهند فقد ظهر التأثير الفكري الإسلامي في الفنون والآداب فضلا عن العمارة والتصميم الهندسي ، والتأثير الأقوى في اللغة الأوردية التي تستعمل الحروف العربية بخط شبيه بالخط العربي [٤٦]، هذه أمثلة قليلة عن التأثير الكبير الذي أحدثته حضارة المسلمين في قرون الازدهار والاندثار على حد سواء ، أما العرب أنفسهم فقد بقيت مآثرهم نقطة قياس في نفوسهم ومعيار عملي لمدى ابتعادهم شيئا فشيئا عن إرثهم الفكري المدون والمنقول بدليل أعداد المخطوطات التي تحتفظ بها مكتبات العالم

المصادر:

- ابن ابي يعلى ، أبو الحسن محمد بن الحسين ت٥٢٦هـ ، طبقات الحنابلة ، القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٦
- ابن الأبار، محمد بن عبدالله القضاعي ت ٦٥٨هـ ، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٥
- ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢
- ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله ت ٧٧٦هـ ، الإحاطة في أخبار غرناطة، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ
- ابن الفرضي ، عبد الله بن يوسف بن محمد ت ٤٠٢هـ ، تاريخ علماء الاندلس ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨.
- ابن بشكوال ،ابو القاسم خلف بن عبد الله ت٥٧٨هـ ، الصلة ، تحقيق عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، مكتبة نشر الثقافة الاسلامية ، ١٩٥٥
- ابن رشيق القيرواني ،الحسن أبو علي ت٤٦٣هـ ، كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ط٥ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت : دار الجيل ، ١٩٨١.
- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ ، البداية والنهاية ، تحقيق علي شيري، بيروت : احياء التراث ، ١٩٨٨.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ ، لسان العرب ، ط ٣ ._ بيروت : دار صادر ١٤١٤هـ
- أبو النصر ، محمد عبد العظيم الأوقاف في بغداد : العصر العباسي الثاني ، القاهرة : مؤسسة عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٢ ، ص – ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨
- أبو خليل ، شوقي ، علماء الأندلس إبداعاتهم المتميزة وأثرها في النهضة الأوربية ، مؤتمر أثر الحضارة العربية الإسلامية في الغرب ودور إسبانيا في نقلها (غرناطة : ٢٠٠٣)
- بكور ، بشار ، العلماء الذين احرقوا كتبهم او دفنوها (مقالة) اطلعت عليها في ٢٠٢٥/١٠/٦ مؤرشفة بتاريخ ٢٠١٢ /٣/١٨ على موقع شبكة الألوكة alukah.net
- توليستوي ، ليو ، حكم النبي محمد ، ترجمة سليم قبعين ، القاهرة : مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٢
- ديورانت ، قصة الحضارة، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون ، بيروت دار الجيل ٢٠٠٢ م
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ ، تذكرة الحفاظ ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨، ٤ : ١٧٣ الطبقة العشرون من الحفاظ
- ----، سير أعلام النبلاء ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١
- الزغاري ، تامر ،مؤرشف في بتاريخ ١٠ سبتمبر ٢٠٢٥ ،تم الاطلاع عليه في ٥/ ١٠/ ٢٠٢٥ ، ١١:٥٥ صباحا #https://www.facebook.com/100053740664350/posts/1393470619120947/?rdid=nhp7sjc9zzZ8tiKq
- السامرائي ، قاسم ، الطباعة العربية في أوربا ، ندوة تاريخ الطباعة العربية (دبي : مركز جمعة الماجد)
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ت٧٦٤هـ ، الوافي بالوفيات ، تحقيق احسان عباس ، بيروت : دار صادر ، ١٩٧٣
- علي ، محمد كرد، الاسلام والحضارة العربية ، وندسور(المملكة المتحدة): مؤسسة هنداوي ،د.ت .
- الغمري ، مكارم ، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي ، (الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٩١)
- الفيروزآبادي ، القاموس المحيط . مجد الدين محمد بن يعقوب ، مراجعة واشراف محمد الاسكندراني .– بيروت : دار الكتاب العربي،٢٠١١.
- قدورة ، وحيد ، فضل الله بن عماد بن علي رشيد الدين (١٢٤٧– ١٣١٨م) ، جامع التواريخ ، في ندوة تاريخ الطباعة العربية ، (دبي : مركز جمعة الماجد).
- القفطي ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لبسك : (د.ن) ، ١٩٠٨
- لوبون ، غوستاف ، حضارات الهند ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة : دار العالم العربي ، ٢٠٠٩
- لويس ، برنارد ، العرب في التاريخ ، تعريب أمين زايد ، عمان : الدار الأهلية ،ص ١٨٤– ١٨٥
- المراكشي ، محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي ت ٦٤٧هـ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري ، بيروت : المكتبة العصرية ، ٢٠٠٦

- المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك ت ٧٠٣هـ ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، تونس : دار الغرب الاسلامي ، ٢٠١٢.
- المزي ، جمال الدين يوسف أبو الحجاج ت ٧٤٢هـ ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق بشار عواد معروف ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣.
- مقبل ، رضا سعيد مقبل ، تاريخ المكتبات في الاندلس ، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، ٢٠٠٩
- المقري ، شهاب الدين ، أحمد بن محمد ت ١٠٤١هـ ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، بيروت : دار صادر ، ١٩٩٧
- نصر ، علي منصور ، معابر الحضارة الاسلامية الى الغرب ، مجلة المؤرخ ، (د.ت) ، ص٣٤٣- ٣٤٤
-هارون ، عبد السلام محمد ، تحقيق النصوص ونشرها ، ط٢ ، (د. م : مؤسسة الحلبي ، ١٩٦٥م) ص ٤١-٤٢
-ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، تحقيق احسان عباس ، بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٣ .

هوامش البحث

(١) لم أشر إلى حرق الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الصحف التي احتوت القرآن الكريم بعد أن تمت عملية جمع المصحف بين دفتين في كتاب واحد، واعتماده في الأمصار الإسلامية، لأن الأمر مختلف وجاءت هذه الخطوة لأغراض معروفة .

(٢) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٣ : ٤٢٧

(٣) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٩٧٣، ٣ : ٤٢٧

(٤) المصدر نفسه ، ٤: ٤٨- ٤٩

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ : ١٤٩

(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ٨: ٣٦٠

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧: ٧١

(٨) ابن ابي يعلى ، طبقات الحنابلة ١٩٥٦ ، ١: ٧٨

(٩) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٥ : ١٩٣٠ – ١٩٣٢

(١٠) ابن بشكوال ، الصلة ص٥٩٠ ، ذكر في محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ...١ : ٤٥٦

(١١) بكور ، بشار ، العلماء الذين أحرقوا كتبهم أو دفنوها (مقالة) اطلعت عليها في ٢٠٢٥/١٠/٦ مؤرشفة بتاريخ ٢٠١٢ /٣/١٨ على موقع شبكة الألوكة alukah.net

(١٢) المقري ، نفح الطيب ، ٢ : ٨٢

(١٣) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ٥: ٢٢٦٦ ، وقد رفض تصرفه جماعة فاعترف بخطئه.

(١٤) المصدر نفسه ١: ٢٩٥، ٣٠٤

(١٥) القفطي ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٢٩

(١٦) علي ، محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية ١: ٣٢٣

(١٧) يوسف ، بنان فاخر ، الآثار المخطوطة في البصرة ، ص٩١

(١٨) علي ، محمد كرد ،الإسلام والحضارة العربية ، ص ٣٨٨-٣٨٩

(١٩) نصر ،علي منصور، معابر الحضارة الإسلامية إلى الغرب ص٣٤٣- ٣٤٤

(٢٠) لويس ، برنارد ، العرب في التاريخ ،ص ١٨٤- ١٨٥

(٢١) علي ، محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية ،ص ٣٧٠

(٢٢) هارون ، عبد السلام محمد ، تحقيق النصوص ونشرها ، ص ٤١-٤٢

(٢٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٦ :٢٧٦

(٢٤) المزي ، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ،ص ٢١٩ ،راو ومحدث ، ت ٣٠٠هـ بمصر.

(٢٥) ابن الفرضي، كتاب تاريخ علماء الأندلس ، ١: ٢٢

(٢٦) الذيل والتكملة ، ١: ٢٢١

(٢٧) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ١ :٢٢١ – ٢٢٣ ، العبارة الأخيرة مما نقله المراكشي هي من ضمن تأثير حركة نقل الكتب على الحركة الفكرية في الأندلس إذ دخل الاعتزال كمذهب إلى هناك بسبب دخول كتاب الكشاف برأي ابن زرقون الذي نسب هذا الفعل إلى أبي العباس.

(٢٨) المراكشي ، المعجب ، ١٨٥-١٨٦

(٢٩) مقبل ، رضا سعيد، تاريخ المكتبات في الأندلس ، ١٥٢- ١٥٣

(٣٠) نسبة إلى مدينة جنوة وتقع شمال غرب إيطاليا.

(٣١) أبو خليل ، شوقي ، علماء الأندلس إبداعاتهم المتميزة وأثرها في النهضة الأوربية ، ص١٦

(٣٢) ديورانت ، وليام جيمس ، قصة الحضارة ،١٨: ١٣٢ ، عائلة ميدتشي ، مؤسس هذه العائلة كان يعمل مدير دار سك العملة في بلدته ويبدو أنه اطلع على العملة الورقية العربية ،لأن العملة العربية تعامل بها الأوروبيون وصولا إلى إنكلترا سواء المعدنية أو الورقية.

(٣٣) الزغاري ، تامر ،مؤرشف في بتاريخ ١٠ سبتمبر ٢٠٢٥ ،تم الاطلاع عليه في ٥/ ١٠/ ٢٠٢٥ ، ١١:٥٥ صباحا #https://www.facebook.com/100053740664350/posts/1393470619120947/?rdid=nhp7sjc9zzZ8tiKq

(٣٤) في معجم المعاني وجدت كلمة (الطرس بطاء مفتوحة وراء ساكنة وسين) وفيه : طَرَس الكتاب : كتبه ، طرس الخطوط : محاها وطرّس الكتاب : كتبه أو أعاد الكتابة على المكتوب الممحو ، وفي لسان العرب الطرس بكسر الطاء: الصحيفة ، ويقال هي التي محيت ثم كتبت... وطرس الكتاب سوده ، ٩: ١٠٩ ، ومثل ذلك في معجم القاموس المحيط ،ص ٥٩٤ . وأجد بينها وبين الطرش تقاربا معنويا ولفظيا .

(٣٥) تامر الزغاري ، المقالة – قائمة المصادر والمراجع ، وأيضا فيها صورة رسم مطبوع بآلة الطرش.

(٣٦) ديورانت ، وليام جيمس ، قصة الحضارة ، ٢٢: ٢٦٨

(٣٧) وحيد ، قدورة ، علي رشيد الدين ، فضل الله بن عماد (١٢٤٧- ١٣١٨م) ، جامع التواريخ ، ص ١١٤- ١١٥

(٣٨) السامرائي ، قاسم ، الطباعة العربية في أوروبا ، ص٤٩

(٣٩) ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ٣ : ٥٣-٥٤ ، والصفدي ، الوافي بالوفيات ، واسمه محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاعي القللوسي (ت٧٠٧) كان إماما بالعربية وعلم العروض ، وشاعرا ومؤلفا ، ١: ٢٥٩ له كتاب الدرة المكنونة في محاسن أسطبونة – وهي مدينة أندلسية- ومؤلفات أخرى .

(٤٠) ابن الأبار، محمد بن عبدالله ، الحلة السيراء ، ٢ : ٣٩٠

(٤١) ابن الهيثم ، أبو علي محمد بن الحسن ت ٤٣٠هـ عالم عربي مسلم أبدع في الرياضيات والفيزياء والفلك والطب والهندسة ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٦: ٥٢٢

(٤٢) ديورانت ، قصة الحضارة ١٧: ١٨٢

(٤٣) توليستوي ، ليو ، حكم النبي محمد

(٤٤) الغمري ، مكارم ، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي ،ص١٧٣

(٤٥) المرجع نفسه ، ص ٢٠٣ وما بعدها .

(٤٦) لوبون ، غوستاف ، حضارات الهند ، ص ٤١٧- ٤١٨